قبح ا D إنكارهم البعث تقبيحا لا ترى أعجب منه وأبلغ ودل على تمادي كفر الإنسان وإفراطه في جحود النعم وعقوق الأيادي وتوغله في الخسة وتغلغله في القحة حيث قرره بأن عنصره الذي خلقه منه هو أخس شيء وأمهنه وهو النطفة المذرة الخارجة من الإحليل الذي هو قناة النجاسة ثم عجب من حاله بأن يتصدى مثله على مهانة أصله ودناءة أوله لمخاصمة الجبار وشرز صفحته لمجادلته ويركب متن الباطل ويلج ويمحك ويقول : من يقدر على إحياء الميت بعد ما رمت عظامه ثم يكون خصامه في ألزم وصف له وألصقه به وهو كونه منشأ من موات وهو ينكر إنشاءه من موات وهي المكابرة التي لا مطمح وراءها وروى : أن جماعة من كفار قريش منهم أبي بن خلف الجمحي وأبو جهل العاص بن وائل والوليد بن المغيرة تكلموا في ذلك فقال لهم أبي : ألا ترون إلى ما يقول محمد إن ا يبعث الأموات ثم قال : واللات والعزى لأصيرن إليه ولأخصمنه وأخذ عظما باليا فجعل يفته بيده وهو يقول : يا محمد أترى ا يحيي هذا بعد ما قد رم قال A : " نعم ويبعثك ويدخلك جهنم " وقيل : معنى قوله : " فإذا هو خصيم مبين " فإذا هو بعد ما كان ماء مهينا رجل مميز منطيق قادر على الخصام مبين : معرب عما في نفسه فصيح كما قال تعالى : " أو من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين " الزخرف : 18 ، . فإن قلت : لم سمى قوله : " أمن يحى العظام وهي رميم " مثلا ؟ قلت : لما دل عليه من قصة عجيبة شبيهة بالمثل وهي إنكار قدرة ا تعالى على إحياء الموتى . أو لما فيه من التشبيه لأن ما أنكر من قبيل ما يوصف ا بالقدرة عليه بدليل النشأة الأولى فإذا قيل : من يحي العظام على طريق الإنكار لأن يكون ذلك مما يوصف ا تعالى بكونه قادرا عليه كان تعجيزا وتشبيها له بخلقه في أنهم غير موصوفين بالقدرة عليه . والرميم : اسم لما بلي من العظام غير صفة كالرمة والرفات فلا يقال : لم لم يؤنث وقد وقع خبر المؤنث ؟ ولا هو فعيل بمعنى فاعل أو مفعول ولقد استشهد بهذه الآية من يثبت الحياة في العظام ويقول : إن عظام الميتة نجسة لأن الموت يؤثر فيها من قبل أن الحياة تحلها . وأما أصحاب أبي حنيفة فهي عندهم طاهرة وكذلك الشعر والعصب ويزعمون أن الحياة لا تحلها فلا يؤثر فيها الموت ويقولون : المراد بإحياء العظام في الآية ردها إلى ما كانت عليه غضة رطبة في بدن حي حساس " وهو بكل شيء عليم " يعلم كيف يخلق لا يتعاظمه شيء من خلق المنشآت والمعادات ومن أجناسها وأنواعها وجلائلها ودقائقها . ثم ذكر من بدائع خلقه انقداح النار من الشجر الأخضر مع مضادة النار الماء وانطفائها به وهي الزناد التي يوري بها الأعراب وأكثرها من المرخ والعفار وفي أمثالهم : في كل شجر نار . واستمجد المرخ والعفار يقطع الرجل منهما

غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهي أنثى فتنقدح النار بإذن ا . وعن ابن عباس Bهما : ليس من شجرة إلا وفيها النار إلا العناب . قالوا : ولذلك تتخذ منه كذينقات القصارين . قرىء : " الأخضر " على اللفظ . وقرىء : " الخضراء " على المعنى : ونحوه قوله تعالى : " من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم " الواقعة : 54 . من قدر على خلق السموات والأرض مع عظم شأنهما فهو على خلق الأناسي أقدر وفي معناه قوله تعالى : " لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس " غافر : 57 . وقرىء : " يقدر "